مت ٢٧: ١١-٢٦:
يسوع أمام بيلاطس

الخوري غزوان بحو

مقدّمة

يمكن تقسيم إنجيل متّى، نسبة إلى آلام يسوع، إلى سبعة أجزاء متمركزة في ثلاثة محاور أساسيّة (يمكن الأخذ بعين الاعتبار استعمال الفعل παραδίδωμι (تسليم إلى الأيدي، إلقاء القبض، خيانة، ٣١ مرّة، منها ١٦ في الجزء الأوّل، والتي نجدها لأوّل مرّة في مت ٤: ١٢، حينما يسلم يوحنّا إلى السجن يبدأ يسوع رسالته العلنيّة، و١٥ مرّة في الجزء الثاني، أي في الفصلين ٢٦–٢٧، والتي فيها يعلن يسوع بأنّه سوف يسلم إلى أيدي الآخرين، ثمّ يسلمه يهوذا إلى أيدي رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، ثمّ هؤلاء يسلمونه إلى أيدي بيلاطس؛ ونجدها في المرّة الأخيرة عندما يسلّم بيلاطس يسوع إلى الموت في مت ٢٧: ٢٦). بعد موت يسوع سوف لا يخضع لأيدي الآخرين، بل سيكون بأيدي الآب الذي يقيمه من بين الأموات. هكذا لدينا ٣ محاور أساسيّة في قصّة الآلام:

أوّلاً: قصّة الآلام بصورة ضمنيّة في حياة يسوع العلنيّة (مت ١–٢٥) ١٦ مرّة الفعل "تسليم إلى الأيدي"، ولكنّ يسوع ليس بعد في أيديهم.

ثانيًا: قصّة الآلام بصورة مباشرة (مت ٢٦–٢٧): ١٥ مرّة للفعل "تسليم إلى الأيدي"؛ يسوع يسلم إلى أيدي الآخرين.

ثالثًا: قصّة الآلام تتحوّل إلى قيامة (مت ٢٨) (استعمال الفعل ἐγείρω يعني «قام»): مرّتين من مجموع ٣٥ مرّة؛ يسوع في يَدَي الآب.

أوّلاً: قصّة الآلام بصورة ضمنيّة في حياة يسوع العلنيّة (مت ١–٢٥): ١٦ مرّة تكرار الفعل «تسليم إلى الأيدي»

١. آلام يسوع في البدايات: مت ١: ١–٤: ١٦

– في الجزء الأوّل تبدأ قصّة الآلام مع إعطاء الاسم ليسوع في ١: ٢١، وبها توضع صيغة رسالته في الاسم الذي يعني «الربّ يخلص»؛ هذا التحرير من الخطايا سوف يحقّقه يسوع في ٢٦: ٢٨ بحيث أنّ دم يسوع هو «دم العهد الجديد الذي يراق لأجل كثيرين لغفران الخطايا». يسوع يحرّر الإنسان من خطاياه التي تفصله عن الله، وبذلك سوف يعيد علاقة الإنسان مع الله؛ بهذا المعنى سوف يدعى يسوع «عمّانوئيل»، «الله معنا» (مت ١: ٢٣) كي يحقّق ما قاله أشعيا ٧: ١٤.

– في مت ٢ تتوضّح الصورة أكثر عندما يبحث هيرودس عن قتل يسوع. الوثنيّون القادمون من مختلف جهات العالم يبحثون عن يسوع للسجود له، بينما اليهود يرفضونه، وهيرودس يبحث عنه ليقتله في مت ٢: ٣، والذي سوف يتحقّق في إلقاء القبض على يسوع وتسليمه للموت في ٢٧: ٢٥–٢٦.

– بينما في عماد يسوع في ٣: ١٣–١٧، أثناء حوار يسوع مع يوحنّا، توضح الصورة أكثر بالنسبة إلى آلامه بحيث يتوجّب عليه أن يتّحد مع الإنسانيّة الخاطئة التي سوف يخلّصها بدمه على الصليب. إنّه يريد عمل إرادة الله التي تبدأ في العماد ويشرب الكأس في مت٢٠: ٢٢، وتستمرّ في بستان الزيتون، بالرغم من صلاة يسوع كي يبعد الآب عنه هذه الكأس في مت ٢٦: ٣٩.

– بعد ذلك يبدأ استعمال فعل مهمّ جدًّا يشير إلى «التسليم بأيدي الآخرين»، παραδίδωμι. في البداية يطبّق على يوحنّا ثمّ على يسوع، حيث يبدأ يسوع رسالته بعد تسليم يوحنّا إلى السجن في مت ٤: ١٢. وسيطبّق الفعل على أتباع يسوع الذين سوف يسلمون إلى أيدي الآخرين.

٢. آلام يسوع في بشارته العلنيّة (٤: ١٧–١١: ١)

بعد تسليم يوحنّا إلى أيدي الآخرين يبدأ يسوع رسالته في ٤: ١٧. وفي نهاية هذا الجزء (١١: ١) يسمع يوحنّا وهو في السجن عن يسوع، فيرسل تلاميذه إلى يسوع ويسأله: «هل هو الآتي؟». في حوار يسوع مع الفرّيسيّين في مت ٥: ٢٠، يبدأ الصراع مع الفرّيسيّين.

وكذلك في ٩: ١٠، ويسوع وبعلزبول في ١٠: ٢٤–٢٥.

٣. يسوع ويوحنّا والصراع مع الفرّيسيّين (مت ١١: ٢–١٦: ٢٠)

يصل الصراع هنا مع الفرّيسيّين إلى قمّته (مت ١١: ٢–٣٠؛ ١٥: ١–٢٠)

٤. إعلان الآلام والموت والقيامة (مت ١٦: ٢١–٢٠: ٣٤)

يبدأ يسوع بإعلان آلامه وموته وقيامته للتلاميذ حينما يبدأ بالتوجّه إلى أورشليم ثلاث مرّات في ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٢–٢٣؛ ٢٠: ١٧–١٩، بالإضافة إلى الإشارة إلى إيليّا (١٧: ٢)، وإلى يوحنّا (١٧: ٣). في كلّ إعلان بالآلام من قبل يسوع يتبعه رفض الآلام من قبل التلاميذ، ولكنّ يسوع يؤكّد لهم فيما إذا أرادوا أن يتبعوه لا بدّ لهم من أن يكونوا مثل الخدّام للآخرين (٢٠: ٢٨).

٥. يسوع في أورشليم (مت ٢١–٢٥)

يدخل يسوع أورشليم راكبًا على أتان (٢١: ١–١١)، ويطرد الباعة من الهيكل (٢١: ١٢–١٧). والحجر الذي رفضه البنّاءون (٢١: ٤٢) يقابله مز ١١٨: ٢٢. هكذا يزداد الصراع بينه وبين اليهود (٢١: ١٢–١٧، وكذلك في ٢١: ٢٣–٢٢: ١٤).

ثانيًا: قصّة الآلام بصورة مباشرة (مت ٢٦–٢٧): ١٥ مرّة للفعل «تسليم إلى الايدي»

٦. قصّة الآلام (مت ٢٦–٢٧)

تبدأ مع الآيتين ٢٦: ١–٢ بإعلان يسوع للتلاميذ باستعمال الفعل الأساسيّ «تسليم إلى أيدي الآخرين»، ويسلم حينما يصل التلميذ الخائن الذي يسلمه لأيدي الآخرين في ٢٦: ٤٧. ومنذ تلك اللحظة سوف يكون يسوع بأيدي الآخرين: من يد يهوذا إلى أيدي الكهنة ورؤساء الشعب، ومن أيديهم إلى أيدي بيلاطس الذي يسلمه إلى أيدي الجنود كي يجلدوه، ثمّ يسلم إلى الموت. ينقسم هذا الجزء إلى **٧ أجزاء أساسيّة:**

- يسوع بعد إنهاء خطاباته كلّها، أثناء الفصح، يعلن للتلاميذ للمرّة الأخيرة بأنّه سوف يسلم إلى أيدي الآخرين (٢٦: ١–١٣).

- يتّفق يهوذا مع الآخرين على تسليمه، بينما ينهي يسوع العشاء الأخير مع التلاميذ في مت ٢٦: ١٤–٤٦.

- يسوع يسلم إلى أيدي الآخرين (٢٦: ٤٧–٧٥).

- يسوع يسلم إلى أيدي بيلاطس (٢٧: ١–٢٦).

- يسوع يسلم إلى أيدي الجنود (٢٧: ٢٧–٣٤).

- يسوع إلى الصليب (٢٧: ٣٥–٤٩): «إيلي إيلي ليما شبقتاني، إلهي إلهي لماذا تركتني» (ἐγκαταλείπω)؟

- يسوع يسلم إلى الموت في القبر (٢٧: ٥٠–٦٦).

ثالثًا: قصّة الآلام تتحوّل إلى قيامة (مت ٢٨) (استعمال الفعل ἐγείρω **يعني "قام" مرّتين من مجموع ٣٥ مرّة والتي هي ٥ في ٧).**

٧. القيامة (مت ٢٨): في هذا الفصل الأخير سوف لن يكون يسوع بعد

خاضعًا لأيدي الناس، بل سيكون في أيدي الآب الذي يقيمه من بين الأموات.

إذن قصّة يسوع أمام بيلاطس تقع ضمن الجزء الرابع (**المحور الوسطيّ**) من قصّة الآلام (مت ٢٧: ١–٢٦) والتي يمكن تقسيمها إلى ٣ أجزاء:

- السنهدريم اليهوديّ بعد أن قرر قتل يسوع يسلمونه إلى أيدي بيلاطس (مت ٢٧: ١–١٠ // مر ١٥: ١// لو ٢٣: ١).

- بيلاطس يحقّق مع يسوع (مت ٢٧: ١١–١٤ // مر ١٥: ٢–٥// لو ٢٣: ٢–١٦).

- بيلاطس، تحت تأثير أعداء يسوع، يقرّر صلبه، ويسلمه إلى أيدي أعدائه (مت ٢٧: ١٥–٢٦ // مر ١٥: ٥–١٥ // لو ٢٣: ١٦–٢٦).

هكذا سوف أتناول الجزءَين الثاني والثالث من هذا المحور الأساسيّ: الجزء الثاني: بيلاطس يحقّق مع يسوع، الجزء الثالث: بيلاطس يخون يسوع.

الجزء الثاني: بيلاطس يحقّق مع يسوع (مت ٢٧: ١١–١٤)

في هذه المرحلة هناك نقطتان أساسيّتان في تحقيق بيلاطس مع يسوع: هويّة يسوع والاتهامات المنسوبة إليه. في إنجيل متّى يوضح الإنجيليّ بأنّ يسوع أمام السنهدريم اليهوديّ أجاب على الاتهامات المنسوبة إليه بصمت كامل. في مت ٢٧: ١١أ يكمل متّى المشهد الذي بدأ في ٢٧: ٢ حيث قام رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بتقييد يسوع وتسليمه إلى الحاكم بيلاطس. بينما آ ١١ب تتضمّن الجزء الأوّل من التحقيق. إنّ قصّة متّى تبدأ مباشرة مع هذا السؤال الذي يعتبر مفتاح التحقيق مع يسوع، والذي هو نفسه في الأناجيل الأربعة (مت ٢٧: ١١؛ مر ١٥: ٢؛ لو ٢٣: ٣؛ يو ١٨: ٣٣)، فيتمّ التأكيد عليه بوضوح في إنجيل متّى.

سؤال بيلاطس ليسوع: σὺ εἶ ὁ βασιλεὺς τῶν Ἰουδαίων، **أنت هو ملك اليهود؟**

في اللغة اليونانيّة ليس من الضرورة عادة استعمال الضمير الشخصيّ σύ، ولكن هنا يستعمل بوضوح. وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يعني أنّ بيلاطس يتوجّه مباشرة إلى يسوع مؤكّدًا أنّه هو بالذات وليس شخصًا آخر، فيتمّ بذلك التأكيد على الشخص من خلال استعمال الضمير الشخصيّ. هكذا يتمّ التأكيد في هذا التحقيق على هويّة يسوع التي كانت النقطة الأساسيّة في ٢٦: ٦٣ حينما كان يسوع أمام مجلس اليهود: "فقال له رئيس الكهنة: أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟". إنّ السؤال الأساسيّ هو إذن: "من هو يسوع؟".

كان يسوع نفسه قد سأل تلاميذه من هو في نظر الناس وفي رأي التلاميذ أنفسهم، وذلك حينما وصل إلى قيصريّة فيلبّس. من المهمّ أن نتساءل عن سبب توجيه يسوع هذا السؤال إلى تلاميذه في هذا المكان بالذات، أي في قيصريّة فيلبّس. كان يوجد في هذا المكان بالذات معبد للآلهة؛ فحينما وصل يسوع إلى هذا المكان نظر إلى هذه الآلهة ووجّه أنظار التلاميذ إلى ذلك، فسألهم: مَن أنا في نظركم أنتم؟ والآن يسأله اليهود أنفسهم وكذلك بيلاطس.

كشف متّى هويّة يسوع منذ بداية إنجيله على لسان الأمم، أي من غير اليهود، بأنّ يسوع هو ملك اليهود: «[١]وَبَعْدَمَا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْوَاقِعَةِ فِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ، جَاءَ إِلَى أُورشليم بَعْضُ الْمَجُوسِ الْقَادِمِينَ مِنَ الشَّرْقِ، [٢]يَسْأَلُونَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ (ὁ βασιλεὺς τῶν Ἰουδαίων)؟ فَقَدْ رَأَيْنَا نَجْمَهُ طَالِعاً فِي الشَّرْقِ، فَجِئْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» (مت ٢: ١–٢). هكذا أيضًا على لسان بيلاطس يتمّ استعمال لقب «يسوع ملك اليهود». بينما أعضاء السنهدريم اليهوديّ يستعملون لقبًا آخر للمسيح وهو: βασιλεὺς Ἰσραήλ، «ملك إسرائيل» (مت ٢٧: ٤٢).

سنرى أنّ يسوع في هذا التحقيق يجاوب فقط على هذا السؤال، وجوابه لبيلاطس في اللغة اليونانيّة يمكن أن يُترجَم ويُفَسَّر بطريقتين:

ὁ δὲ Ἰησοῦς ἔφη· σὺ λέγεις.

يمكن أن يفهم بشكل تأكيد، أي: «أنت تقول».

كما يمكن أن يفسّر بشكل سؤال: «أنت تقول؟».

يسوع أيضًا يستعمل في جوابه لبيلاطس الضمير الشخصيّ ليبيّن أنّه يتحدّث مع بيلاطس نفسه، «أنت»، لكي يشعره بمسؤوليّته هو كحاكم. يتمّ إذن تفسير جواب يسوع في الحالتين وكما يلي:

– **جواب يسوع كسؤال:** في هذه الحالة فإنّ جواب يسوع يمثّل دعوة إلى القاضي بأنّه يشعر بمسؤوليّته كحاكم، أي بمعنى أنّ يسوع يقول لبيلاطس: هل تقول هذا الشيء كقناعة شخصيّة مبنيّة على أساس قانونيّ والبحث عن الحقيقة، أو أنّك تكرّر بسهولة ما قاله لك الآخرين، دون أن تتعب نفسك في البحث لكي تكتشف أنت نفسك الحقيقة؟ في يو ١٨: ٣٤ يجاوب يسوع ويقول صراحة لبيلاطس: «تقول هذا من عندك أو آخرون قالوه لك عني؟».

– **جواب يسوع كتأكيد:** في هذه الحالة فإنّ يسوع يبيّن في جوابه لبيلاطس بأنّ كلمات بيلاطس هي كلماته هو نفسه بقناعته، ولكن مع هذا فإنّه لا يؤكّد ولا ينفي الحقيقة. تأكيد يسوع هذا يبقى محلّ نقاش لأنّ العبارة اليونانيّة، ὁ βασιλεὺς τῶν Ἰουδαίων، أي «ملك اليهود» تبقى مبهمة؛ فإذا تمّ تفسيرها بمعنى «ملك سياسيّ لمواجهة الإمبراطور»، فإنّها لا تتوافق مع حالة يسوع الذي هو «المسيح» والذي تفسيره هو الملك الذي اختاره الله لشعبه ضمن تدبير الله الخلاصيّ وليس كملك سياسيّ.

بعد هذا التحقيق البدائيّ يقدّم الإنجيليّ متّى الاتهامات التي يتمّ توجيهها إلى يسوع. المتّهمون هم رؤساء الكهنة والشيوخ (أنظر ٢٧: ١ و٣). في هذه الحالة يستعمل الإنجيليّ صيغة الفعل في اللغة اليونانيّة κατηγορεῖ (يتّهم) بصيغة الحاضر اللامنتهي (κατηγορεῖσθαι, verb infinitive, from κατηγορέω, present passive) مبيّنًا بذلك مدى استمراريّة الفعل

ومدى إصرارهم على الاتهام، ولا يذكر الإنجيليّ ما هو محتوى الاتهامات، لأنّه بالنسبة إليه ليست مهمّة بقدر ما هو مهمّ إظهار إصرارهم على اتهام يسوع، وهذا ما يبرز بوضوح أكثر ملوكيّة يسوع.

البناء القواعديّ للآية ١٢ مهمّ أيضًا بحيث يبيّن الإنجيليّ أنّ الحدث الأساسيّ في الآية ليست اتهامات اليهود ولكن عدم–فعل يسوع، أي صمته. يسوع مقتنع بأنّ اتهاماتهم ضدّه لا تحتاج إلى أيّ إجابة، ولا حتّى كلمة واحدة، لأنّها ليست مقنعة ولا ذات أهمّيّة. حينما رأى بيلاطس عدم جواب يسوع قرّر أن يتدخّل ثانية بسؤال ثان؛ إنّه سؤال مشابه للسؤال الذي طرحه رئيس الأحبار على يسوع أمام مجلس اليهود سابقًا:

٢٦ : ٦٢: οὐδὲν ἀποκρίνῃ τί οὗτοί σου καταμαρτυροῦσιν،

٢٧ : ١٣: οὐκ ἀκούεις πόσα σου καταμαρτυροῦσιν.

إنّ تدخل بيلاطس في هذه الحالة يجعل المتّهمين كأنّهم شهود، ويبيّن مدى خطورة الاتهامات في استعماله πόσα، أي كلّ ما يتّهمونه به. بسؤاله هذا يحاول أن يستفزّ يسوع كي يجبره على الكلام، ولكن مع هذا فإنّه يشعر بإعجابه تجاه يسوع الذي سوف يفسّره الإنجيليّ في الآية اللاحقة. إنّ سؤال بيلاطس باستعماله أداة النفي اليونانيّة οὐκ وليس أداة النفي الأخرى μη تظهر بأنّه ينتظر إجابة ايجابيّة من يسوع، أي أنّ تأثير يسوع على بيلاطس يمكن تفسيره بهذا الشكل: «يمكنني أن أفهم صمتك مقابل كلّ الاتهامات الخطرة التي يتّهمونك بها فقط بطريقة واحدة وهي: أنك أطرش وتنقصك حاسّة السمع الأساسيّة لكي تجاوب، ولكنّك سمعت جيّدًا، ولهذا يجب أن تجاوب». ولكنّ يسوع لا يجاوب بكلمة واحدة. إنّ الإنجيليّ بيّن بوضوح صمت يسوع في آ ١٢، ولكنّه في آ ١٤ يوضحه أكثر وكلّيًّا:

٢٧ : ١٢ : « فلا يجيب بشيء» (οὐδὲν ἀπεκρίνατο).

٢٧ : ١٤ : «فما أجابهم بشيء ولا بكلمة» (οὐκ ἀπεκρίθη αὐτῷ πρὸς οὐδὲ ἓν ῥῆμα).

يبدو أنّ العبارة اليونانيّة πρὸς οὐδὲ ἓν ῥῆμα تشير إلى πόσα، أي أنّ يسوع لا يجاوب شيئًا على كلّ ما يتّهمونه به ويقولونه له. هكذا يظهر التناقض الحادّ بين تصرّف يسوع في آ ١١، عندما أجاب على سؤال بيلاطس، وما يسألونه الآن.

هذا يوضح أنّ ردّة فعل يسوع تعتمد على محتوى الاتهامات وليس على الشخص الذي يسأله، سواء كان المتهمون أو بيلاطس نفسه. هذا ما يخلق في نفس بيلاطس إعجابًا كبيرًا بيسوع، θαυμάζειν، والذي يتكرّر ٧ مرّات في إنجيل متّى، ٦ منها تشير إلى ردّة الفعل تجاه تصرّف يسوع أثناء صنعه الأعاجيب (٨: ٢٧، ٩: ٣٣، ١٥: ٣١، ٢١: ٢١) فقط في ٨: ١٠ تشير إلى ردة فعل يسوع نفسه.

في آ ١٤ يبيّن الإنجيليّ مدى إعجاب بيلاطس باستعماله صيغة الفعل باللغة اليونانيّة بصيغة المضارع (θαυμάζω، فعل مضارع معلوم، من الفعل θαυμάζειν) (الاستمراريّة، المحتوى والتكرار). هذا الإعجاب يبيّن مدى تأثّر الشخص في الحدث، وهذا ما يميز بيلاطس عن المتّهمين.

بالنسبة إلى مرقس فإنّه يقدّم هذه الفقرة مشابهة جدًّا لمتّى ١٥: ١–٥. بينما لوقا يقدّم قصّة أطول في ٢٣: ١–١٦ بحيث إنّه يضيف أنّ بيلاطس يكتشف من خلال التحقيق بأنّ يسوع بريء، ثمّ يرسله إلى هيرودس أنطيبّاس الذي كان واليًا على الجليل من ٤ ق. م. إلى ٣٩ ب. م.، الذي هو الآخر لا يجد جرمًا فيه، فيعيده إلى بيلاطس الذي يحاول إقناع رؤساء الكهنة والشعب بأنّ يسوع بريء، ولكن دون جدوى. حسب لوقا فإنّ بيلاطس وهيرودس متفقان على أنّ يسوع بريء. هكذا فإنّ الحاكم مبدئيًّا مقتنع بأنّ يسوع بريء، والأكثر من ذلك فإنّه معجب بصمته وعدم إجابته على الاتهامات الموجَّهة إليه من قبل خصمه.

الجزء الثالث: بيلاطس يخون يسوع (مت ٢٧: ١٥–٢٧)

في الجزء الأوّل من تحقيق بيلاطس مع يسوع يكتشف القاضي بأنّ يسوع

بريء، وحسب إنجيل لوقا يعلنها للشعب مرّتين، بعدها تبدأ مرحلة ثانية من التحقيق مع يسوع، سنرى بأنّ بيلاطس يترك التحقيق مع يسوع ويحاول إرضاء الشعب (أنظر أيضًا مر ١٥: ٦–١٥ ولو ٢٣: ١٨–٢٥). في بداية التحقيق مع يسوع كان المتّهمون ضدّ يسوع هم فقط رؤساء الكهنة والشيوخ، بينما في هذه المرحلة الثانية نجد أنّ الشعب أيضًا يتجمّع عند الحاكم. يتكوّن هذا المحور من ثلاثة أجزاء: الجزء الأوّل آ ١٥–١٦ تعتبر مقدّمة، بينما الجزء الثاني هو الحوار بين بيلاطس والشعب في آ ١٧–٢٣، والجزء الثالث يختتم القصّة بالحكم على يسوع بالصلب في آ ٢٧: ٢٤–٢٧.

١. المقدّمة: آ ١٥–١٦

تشرح هذه الآيات التقاليد العامّة والوضع الحاليّ. في آ ١٥ يتمّ تحديد العناصر الأساسيّة في القصّة: في العيد (ἑορτη، ٢٦: ٥ و٢٧: ١٥) كان من عادة الحاكم (ἡγεμόνι، ٢٧: ٢، ١١، ١٤،١٥،٢١، ٢٧) أن يطلق (ἀπολύειν، ٢٧: ١، ١٥، ٢١، ٢٦) سجينًا (δέσμιον) حسب إرادة (θέλειν، ٢٧: ١٥، ١٧، ٢١) الشعب (ὄχλος ، ٢٧: ١٥، ٢٠، ٢٤).

في هذه الحالة هناك إذن اتفاق بين الحاكم والشعب، والاختيار هو للشعب. في آ ١٦ يتمّ وصف الوضع الحاليّ، ولكن بشكل مختصر جدًّا. فاعل الفعل εἶχον يجب أن يكون مطابقًا للفعل الذي يسبقه ἤθελον، أي الشعب.

في إنجيل متّى يعطى فقط اسم المسجون دون ذكر سبب الجرم الذي اقترفه. في هذه الآية تشير بعض المخطوطات إلى الاسم الكامل للمسجون Ἰησοῦς Βαραββᾶς، τὸν Βαραββᾶς ولكن بعضها تعطي فقط الاسم الأوّل.

٢. الحوار بين بيلاطس والشعب: آ ١٧–٢٣

ينقسم الحوار ما بين بيلاطس والشعب إلى ثلاث مراحل، يتوضّح من خلالها بأنّ بيلاطس لا يتصرّف كحاكم عادل لكي يقرّر حسب الحقّ، ولكنّه

يتصرّف كشخص عاديّ يحاول أن يرضي الشعب. كلّ مرحلة تبدأ بسؤال بيلاطس وتنتهي بجواب واضح من قبل الشعب:

٢٧: ١٧: τίνα θέλετε ἀπολύσω ὑμῖν (رج ٢٧: ١).

٢٧: ٢٢: τί οὖν ποιήσω Ἰησοῦν

٢٧: ٢٣: τί γὰρ κακὸν ἐποίησεν

المرحلة الأولى (آ ١٧–٢١)

تحوي هذه المرحلة السؤال الأوّل وتشرحه (آ ١٧–١٨)، وتشرح عدّة تدخلات خارجيّة (آ ١٩–٢٠)، ثمّ يعيد بيلاطس السؤال نفسه (آ ٢١أ)، وبعده جواب الشعب (آ ٢١ب).

في بداية آ ١٧ يذكر الإنجيليّ تجمّع الشعب عند بيلاطس دون ذكر السبب، ولكن بالإشارة إلى ما قبله οὖν، أي بمعنى «بينما»، نفهم بأنّ الشعب جاء إلى بيلاطس لكي يطلب إطلاق سراح باراباس. تجمّع الشعب هذا يعطي الفرصة لبيلاطس للوصول إلى حلّ ما ويخرج من أزمته. يعطي بيلاطس الاختيار للشعب ما بين باراباس وما بين يسوع المدعوّ المسيح، Ἰησοῦν τὸν λεγόμενον χριστόν. اختيار باراباس لا يعني فقط رفض إطلاق سراح يسوع، ولكنّه يعني أيضًا رفض يسوع الذي يدعى المسيح. يستعمل بيلاطس لقب ο βασιλευς ιουδαιόν، أي «المسيح»، بدلاً من اللقب Χριστός، أي «ملك اليهود»، لكي يبعد عنه التهمة السياسيّة.

العبارة المستعلمة من قبل بيلاطس، Ἰησοῦν τὸν λεγόμενον χριστόν، تشير إلى أنّها ليست من ابتكار بيلاطس وإنّما تشير إلى ما معروف عن يسوع بين الشعب بأنّه هو المسيح (أوشعنا لابن داود، في ٢١: ٩ و١٥).

استعمال لقب "المسيح" هنا ليس عشوائيًّا، لأنّ الإنجيليّ يستعمله في أماكن مهمّة من إنجيله ليبيّن هويّة يسوع الحقيقيّة (مت ١: ١، ١٦، ١٧، ١٨؛ ٢: ٤؛

١١: ٢؛ ١٦: ١٦، ٢٠؛ ٢٢: ٤٢؛ ٢٦، ٦٣، ٦٨؛ ٢٧: ١٧، ٢٢؛ وأيضًا ٢٣: ١٠ و٢٤: ٥، ٢٣). في آ ١٧ و٢٢ يستعمل الإنجيليّ لآخر مرّة هذا اللقب ليعبّر عن رفض الشعب ليسوع.

في مت ٢٧: ١٨ يتمّ شرح السبب الذي جعل بيلاطس يتفاوض مع الشعب: المصطلح φθονος والذي يعني «غيرة»، يتكرّر في الأناجيل فقط في مت ٢٧: ١٨ ومر ١٥: ١٠، لكي يشير إلى السبب الذي، حسب بيلاطس، من أجله دفع بالسنهدريم إلى خيانة يسوع (أنظر مت ٢٧: ٢ ومر ١٥: ١). يبدو أنّ سبب هذه الغيرة هو الإعجاب الكبير الذي يكنّه الشعب ليسوع (مت ٢١: ٤٦ و٢٢: ٣٣)، وهذا ما كان قد منع السنهدريم من القبض على يسوع أمام الشعب عامّة (مت ٢٦: ٥). هذه الغيرة هي علامة الاختلاف ما بين السنهدريم والشعب في ما يتعلّق بشخصيّة يسوع. هدف بيلاطس كان استغلال هذا الاختلاف في الرأي لكي يحصل على موافقة الشعب في إخلاء سبيل يسوع.

كلّ هذا يبيّن بأنّ القاضي كان مقتنعًا بأنّ كلّ الاتهامات ضدّ يسوع كانت غير صحيحة، ولا يرى في يسوع مجرمًا سياسيًّا، بل اقتنع بأنّه بريء، ولكن مع هذا فإنّه لا يملك الجرأة لإخلاء سبيله. يحاول أن يتحالف مع جهة معينة ضدّ السنهدريم، ويعتقد أنّه وجد هذا الحلف مع الشعب. في هذا الوضع، فإنّ الجهتين اللتين يعتمد عليهما مصير يسوع، أي بيلاطس والشعب، تقعان تحت تأثيرات معاكسة تمامًا (٢٧: ١٩–٢٠). يتلقّى القاضي رسالة من زوجته، التي تصرّ على براءة يسوع. بينما الشعب يلتقّى تهديدًا من السنهدريم ويحثّه على طلب إخلاء سبيل بارابّاس.

فقط متّى يروي قصّة تدخّل امرأة بيلاطس في قضيّة محاكمة يسوع، والتي تدخل مباشرة في قاعة المحكمة حيث القاضي يمارس القضاء: Καθημένου δὲ αὐτοῦ ἐπὶ τοῦ βήματος؛ المصطلح Καθηστηαι يعني «الجالس»، يشرح موقع القاضي (مت ١٩: ٢٨ و٢٥: ٣١).

والمصطلح βήμα يعني «الدرج، المكان المرتفع»، أي المكان الذي

يجلس عليه القاضي، وهو إشارة إلى أنّ القضاء هو فوق الجميع، والحقّ يجب أن يظهر، وهذا ما كان يميّز القضاء الرومانيّ (يو ١٩: ١٣؛ أع ١٨: ١٢–١٧؛ ٢٥: ٦–١٧).

هذا يعني أنّ بيلاطس جالس في المكان الذي يجبره على أن يحكم بالعدل. بينما امرأته تشير إلى يسوع مستعملة المصطلح τῷ δικαίῳ ἐκείνῳ، وتحذّر زوجها من أن يتعامل مع يسوع بالظلم (أنظر ٢٧: ١٩). المصطلح δίκαιος المستعمل من قبل امرأة بيلاطس يطبّق على يسوع فقط في مت ٢٧: ١٩ ولو ٢٣: ٤٧ دائمًا من قبل الغرباء وليس من قبل اليهود؛ هذه الصفة تعني بأنّ ذلك الشخص قد تصرّف بعدل وليس له أي ذنب. هذه الرسالة تؤكّد رأي بيلاطس نفسه، بحيث أنّه كان يحاول أن يطلق سراحه ويثبت براءة يسوع. امرأة بيلاطس تتحدّث عن حلم بخصوص يسوع، في ذلك الوقت كان الحلم يعني رسالة إلهيّة، كما كان في العهد القديم؛ وفي إنجيل متّى للحلم دور أساسيّ في طفولة يسوع، حيث أنّ الملاك كلّم يوسف دائمًا في الحلم (مت ١: ٢٠؛ ٢: ١٢، ١٣، ٢٢). هذا التدخّل من قبل امرأة بيلاطس يؤكّد براءة يسوع، ولهذا فإنّ تصرّف بيلاطس بعد ذلك سيكون خطيرًا جدًّا، بحيث لا عذر له: تأكّد من براءة يسوع من عدّة جهات، وهو نفسه كان مقتنعا بذلك؛ القرار الذي يجب أن يأخذه هو إخلاء سبيل الشخص البريء، وعكس ذلك فإنّه سوف يتصرّف ضدّ معرفته بالحقيقة وضدّ ضميره كقاضٍ، وهذا ما حدث فعلاً حيث ينهار بيلاطس تحت تاثير الشعب ويحكم على يسوع. حتّى تصرّفه بغسل يديه ليثبت بأنّه بريء من دم يسوع (مت ٢٧: ٢٤) تأكيد على اقتناعه ببراءة يسوع، ولكنّ كلّ هذا لا يبرّر تصرّفه كحاكم غير عادل ولا يغسل ذنبه ومسؤوليّته. هكذا فإنّ بيلاطس أيضًا يخون يسوع ويحكم عليه بالموت.

من جهة أخرى، نرى أنّ الشعب، بتحريض من السنهدريم يستمرّ في مخطّطه الدمويّ والإجراميّ، فيطلب حرّيّة باراباس مقابل قتل يسوع البريء. يبدو أنّ

متّى يعيد قراءة طفولة يسوع بأسلوب آخر: كان هيرودس يبحث عن يسوع ليقتله (٢: ١٣، του απολεσαι αυτο)، ولكنّه لم يستطع لأنّ ظهور الملاك في حلم يوسف أنقذ يسوع من الموت، أمّا الآن فإنّ العمليّة عكسيّة بحيث أنّ الشعب والفرّيسيّين يطلبون موت يسوع، في حين أنّ بيلاطس كان يريد إنقاذه (οπος αυτον απολεσοσιν). هكذا فإنّ مخطط السينهدريم بات يتحقّق في قتل يسوع ινα ... τον δε Ιησουν απολεσοσιν (٢٧: ٢٠). بذلك يبيّن متّى بأنّ المسؤولين الأوّلين عن قتل يسوع هم أعضاء السنهدريم الذين استطاعوا أن يستغلّوا الشعب لإقناع بيلاطس بقتل يسوع، ولكنّ هذا لا يعني بأنّ الشعب وبيلاطس هم أبرياء من دمه.

بعد ذلك يعيد بيلاطس صياغة سؤاله من جديد في ٢٧: ٢١، ويضع الشعب أمام اختيارين: «من تريدون أن أطلق لكم؟ أجابوا بارابّاس». يستعمل الإنجيليّ مصطلحًا مهمًّا جدًّا وهو τίνα θέλετε، أي «الإرادة» (آ ١٧ و٢١)؛ هذا هو العنصر الأساسيّ والمهمّ الذي يعتمد عليه بيلاطس في تحديد مصير من يطلق لهم، ἀπολύσω ὑμῖν (آ ١٧ و٢١). هكذا فإنّ التحقيق والعدالة ليس لهما محلّ في محاكمة يسوع، بل العنصر المهمّ والمقرّر للمصير هو «إرادة الشعب»، وما أراد المحرّضون الوصول إليه. في هذه الحالة فإنّ الذنب الأساسيّ هو ذنب بيلاطس الذي وضع نفسه أمام إرادة الشعب، إذ فضل رضى الشعب على تحقيق العدالة. ولهذا، فجوابًا على سؤاله يتلقّى إجابة مباشرة وحادّة: «نريد بارابّاس».

المرحلة الثانية (آ ٢٢)

يضع بيلاطس من جديد الشعب في مكان الحاكم، يقدّم له يسوع من جديد باسم «يسوع الذي يقال له المسيح»، ويسأل الشعب ما يريد أن يفعل به. بعد أن فشل بيلاطس بإخلاء سبيل يسوع من خلال رضى الشعب، فإنّه لا يعود إلى استعمال القضاء في المحاكمة، بل يترك القضاء العادل ويضع مصير يسوع

البريء في يد الشعب.

يسوع الآن تحت تصرّف إرادة الشعب التي يحرّكها السنهدريم. هؤلاء وصلوا إلى ما كانوا يطلبونه، فيجاوبون بيلاطس بقساوة: «إصلبه». يقول متّى بأنّهم جميعًا قالوا: «إصلبه». في اللغة اليونانيّة يتمّ استعمال صيغة فعل الأمر بصيغة غير شخصيّة، σταυρωθήτω، والتي هي أكثر حدّة وصلابة من صيغة الأمر في حالة المبنيّ للمعلوم، σταυρωσων αυτον (مر ١٥: ١٣).

في هذه المرحلة يشرح الإنجيليّ تصرّف بيلاطس بثلاثة أسئلة للشعب (٢٧: ١٧ و٢٢ و٢٣)، ويتلقّى خلالها ثلاثة أجوبة (٢٧: ٢١ و٢٢ و٢٣). أجوبة الشعب تتضمّن بكلمة واحدة فقط مبيّنًا بذلك الوضوح والثبات في إرادتهم، والتي كانت الصلب، كما كان يسوع نفسه قد تنبّأ بذلك (٢٠: ١٩)؛ هكذا فإنّ الشعب يحقّق هذه النبوءة.

المرحلة الثالثة (آ ٢٣)

تبدأ المرحلة الثالثة بالسؤال الأخير الذي يوجّهه بيلاطس إلى الشعب: τί γὰρ κακὸν ἐποίησεν، يطلب به بيلاطس من الشعب شرح الأسباب التي من أجلها يطلبون قتل يسوع. إنّه سؤال يتّفق عليه الإنجيليّون الثلاثة. هذا السؤال يدعو الجميع إلى الشعور بالمسؤوليّة تجاه قتل شخص معيّن: «ما الذي فعل لكي يستحقّ الموت؟».

على الجميع أن يتذكّروا ما فعل يسوع من شرّ! لكنّ الإنجيل مليء من أعمال الخير التي فعلها يسوع، والكلّ يتذكرها. في المراحل الأخرى السابقة كان بيلاطس يسأل الشعب ويطلب استشارة أو استفسارًا لتصرّفه، ἀπολύσω في آ ٢١، ποιήσω وفي آ ٢٢، وكان الشعب يجاوب ويشرح، بينما جواب هذا السؤال هو: «إصلبه»، ولا يوجد أيّ شرح أو تفسير أو تبرير. الشعب هو الذي يطلب من بيلاطس ماذا يجب عليه أن يعمل هو دون أيّ تفسير؛ ألم يطلب هو إرادة الشعب؟ يقول الإنجيليّ أنّ صياحهم ارتفع أكثر، ويكرّر:

σταυρωθήτω.

يبدو أنّ صوت الشعب والانتقام ارتفع أكثر من صوت القاضي والعدالة. إلى هذه اللحظة (آ ٢٣) كان هناك حوار ما بين بيلاطس والشعب باستعمال مصطلحات الحوار العادّية (ειπαν و ειπεν في آ ٢١، ثمّ λεγε و λεγουσιν في آ ٢٢)، بينما الآن يتمّ استعمال المصطلح εκαρζον، «صياح»، على شكل فعل غير كامل (imperfect) الذي يعبّر عن عدم الاحترام وفقدان الصبر. فقط المسؤول يستطيع أن يرفع صوته أكثر من الآخرين، ولكن يبدو أنّ صوت الشعب أعلى من العدالة، وتنتصر إرادة الشعب على العدالة.

٣. قرار تحديد مصير يسوع (آ ٢٤–٢٦)

فقط عند متّى نجد أنّ هذا القرار مسبوق بسؤال آخر ما بين بيلاطس والشعب. هذا السؤال ليس مرتبطًا بيسوع وبمصيره، بل بتحديد مسؤوليّة قتل يسوع. بيلاطس يعلن بأنّه ليس مسؤولاً عن موت يسوع (آ ٢٤)، ولكنّ الشعب يعلن مسؤوليّته (آ ٢٥). بعد أن تمّ تحديد مصير يسوع وتحديد مسؤوليّة قتله، يقوم بيلاطس بتسليمه للجلد والصلب محرّرًا لهم بارابّاس.

بعد ثلاثة محاولات لإخلاء سبيل يسوع وتطبيق العدالة (آ ١٧–٢٣)، بيلاطس يفشل في الحصول على رضى الشعب لإخلاء سبيل يسوع، ولاحظ بأنّ الاضطراب كان يزداد.

في هذا الوضع، بدلاً من أن يبحث عن حلّ آخر من خلال القضاء لأنّه كان واثقًا من براءة يسوع، حاول أن يلقي كلّ المسؤوليّة على عاتق الشعب. لم يحاول بعدها تجنّب قتل يسوع، بل بدأ بالبحث عن تبرير لتصرّفه وعدم شعوره بالذنب.

إنّ المصطلح الذي يستعمله متّى للتعبير عن اضطراب الشعب، θόρυβος، يتكرّر فقط في مت ٢٦: ٥ و٢٧: ٢٤، بحيث أنّه يعبّر عن اضطراب الشعب الذي يصبح سببًا لقلق السلطة، وذلك ما يحدّد القرارات، وكما يلي:

٢٦: ٥ ἵνα μὴ θόρυβος γένηται ἐν τῷ λαῷ

٢٧: ٢٤ ἀλλὰ μᾶλλον θόρυβος γίνεται

في الحالة الأولى، ولكي لا يحدث اضطراب في الشعب لمصلحة يسوع، يقرّر السنهدريم أن لا يلقي القبض على يسوع أثناء العيد، بينما في الحالة الثانية فإنّ السنهدريم هو الذي يحرّض الشعب لكي يؤثّر على بيلاطس. إذن يبدو بأنّ اضطراب الشعب هو سبب في التاثير على السلطة.

عمل بيلاطس الرمزيّ بغسل يديه من دم يسوع يشير إلى أنّ يديه هما نظيفتان وليستَا ملطختَين بدم يسوع البريء، وهذا ما يظهر براءة بيلاطس ويؤكّد أيضًا في نفس الوقت براءة يسوع (هذا ما كان يطلبه سفر تثنية الاشتراع في حالة العثور على شخص مقتول دون معرفة القاتل، فكان على شيوخ المدينة أن يغسلوا أيدهم بدم العجل لكي يظهروا براءتهم من دم المقتول، في تث ٢١: ٦). كلمات بيلاطس بعد غسل يديه تظهر بأنّ موت يسوع ودمه المسفوك αἷμα هما اللاعدالة، لأنّه موت شخص بريء، وبيلاطس نفسه بريء من ذلك، ويلقي بكلّ المسؤوليّة على الشعب: أنتم ὑμεῖς (سيعلنها بطرس أيضًا في أوّل خطابه العلنيّ بين اليهود في أعمال الرسل: «أنتم الذين صلبتموه»). لا يريد بيلاطس أن يتدخّل في مشكلة قتل يسوع البريء رغم اقتناعه ببرائته، ورغم قدرته على إخلاء سبيله، كما فعل أيضًا السنهدريم في حالة خيانة يهوذا، حينما أعاد لهم النقود وقال: «خطئت حين أسلمت دمًا بريئًا»؛ فأجابوا: «ما علينا، دبّر أنت أمرك».

ولكن، كما في حالة السنهدريم، كذلك أيضًا بالنسبة إلى بيلاطس؛ لا يجب البحث دائمًا عن الحمل المذبوح لتقديمه ذبيحة وإلقاء كلّ الذنب عليه («هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم»؛ أنظر يو ١: ٣٦؛ وكذلك الرسالة إلى العبرانيّين بخصوص ذبيحة يسوع، ٨–٩).

بالتأكيد حاول بيلاطس إخلاء سبيل يسوع في البداية، ولكنّه، منذ أن وضع

مصير يسوع في أيدي الشعب لتقرير مصيره (٢٧: ١٧)، فإنّه منذ تلك اللحظة ترك العدالة وانجرف خلف الشعب للحصول على رضاه، فخسر موقعه العالي فوق كرسيّ القضاء، واشترك هو أيضًا في جريمة قتل إنسان بريء من أجل مصالحه الشخصيّة. هكذا أصبح هو أيضًا خائنًا مثل يهوذا، وسلّم شخصًا بريئًا إلى قاتليه.

ومن جهة أخرى، نرى أنّ «الشعب كلّه» يعلن مسؤوليّته عن صلب يسوع. إلى هذه الآية كان متّى يستعمل مصطلح ὄχλος للدلالة على الشعب (٢٧: ١٥ و٢٠ و٢٤)؛ فقط هنا يستعمل πᾶς ὁ λαὸς. في إنجيل متّى يتمّ استعمال المصطلح λαὸς للدلالة على شعب إسرائيل والذي هو شعب الله، مقابل المصطلح τα εθνε لكي يعني به الشعوب الوثنيّة (٦: ٣٢؛ ١٠: ٥ و١٨؛ ١٢: ١٨ و٢١؛ ٢٠: ١٩)؛ فقط في ٢٦: ٥ و ٢٧: ٦٤ يشير هذا المصطلح إلى عامّة الشعب لكي يتمّ تمييزها من قبل السلطة. إنّ المصطلح ὁ πρεσβυτεροι του λαὸς يتكرّر فقط عند متّى (٢١: ٢٣؛ ٢٦: ٣ و٤٧؛ ٢٧: ١)، ويشير إلى العلاقة القويّة بين الشعب والسلطة. هكذا، فإنّ المصطلح πᾶς ὁ λαὸς الذي يستعمله فقط متّى وفقط هنا (آ ٢٥) يعني بأنّ شعب الله بكامله يتحمّل مسؤوليّة الحكم على يسوع بالموت. الكلّ اعتقد بأنّه حقّق إرادته وأنّه وصل إلى مبتغاه في صلب يسوع! إجابة الله على ذلك ستكون كما سيعلنها بطرس في كرازته الأولى في أع ٢: ٢٣–٢٤: «أنتم صلبتموه، ولكنّ الله أقامه من بين الأموات».

الأناجيل الإزائيّة الثلاثة تتّفق مع بعضها في ما يخصّ يسوع أمام بيلاطس، وذلك في نقطتين أساسيَّتين: في المرحلة الأولى من تحقيق بيلاطس مع يسوع يتصرّف بيلاطس كحاكم عادل بحيث يوجّه الأسئلة مباشرة إلى يسوع لكي يتأكّد من جريمة يسوع، ويكتشف من هذا التحقيق بأنّ يسوع بريء من التهمة الموجّهة إليه. في المرحلة الثانية من التحقيق يتفاوض بيلاطس مع السنهدريم ومع الشعب بخصوص يسوع، وماذا عليه أن يفعل بيسوع؛ إنّه لا يتصرّف كحاكم عادل: بالرغم من تأكّده من براءة يسوع، فإنّه يقرّر صلبه لإرضاء المسؤولين والشعب.